مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 1 / جوان 2021
ص ص 87-105

المستقر في مدينة الدار البيضاء: حالة مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا

Settle in Casablanca: The Case of Moulay Rachid and Anfa districts

صالح الدين زهلي [1]*، مصطفى يحياوي [2]

[1] كلية الآداب المحمدية، جامعة الحسن الثاني، (المغرب)، salahzahli16@gmail.com

[2] كلية الآداب المحمدية، جامعة الحسن الثاني، (المغرب)، mostafayahyaoui@gmail.com

الاستلام: 2021/04/29 القبول: 2021/06/17 النشر: 2021/06/30

ملخص:

ركزت معظم الأدبيات الجغرافية الخاصة بالفترة الزمنية لما بعد الحداثة، والمهتمة بالمجال وبعمارة المكان (المستقر) على دور المقاربة الكيفية والإثنوغرافية في استخلاص النتائج الميدانية، وذلك باعتبارها من أهم الطرق التي تركز على علاقة الفرد (المجتمع) بالمجال، والتي تهتم بدراسة نمط عيش ومجالية الفرد كما هي وليس كما هي مسموعة أو مقروءة. تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة العلاقة الوجدانية بين الفرد والمجال بمدينة الدار البيضاء من خلال مفهوم المستقر، وذلك بالتركيز على التمثلات الاجتماعية للفرد بالنسبة للمجال في شموليته، والخوض في المعاش اليومي للفرد من خلال سلوكياته المجالية وعمارته للمكان، وكل ما يندرج ضمن جغرافية الحياة اليومية للأفراد. سينصب البحث على تحليل مكونات المستقر بخصائصه الفردية والمجتمعية والمجالية من جهة أولى، وتبيان تأثير المجال برمزيته السياسية والتاريخية والاقتصادية والهندسية العمرانية على الفرد من جهة ثانية، مع إبراز التباين بين المبحوثين في مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد.

الكلمات المفتاحية: المستقر ؛ الهابيتوس ؛ المجال المعاش ؛ التنظيم الاجتماعي.

Abstract:

Most of the geographical literatures of the postmodern period, which are interested on the space and Wohnen, are based on the role of qualitative and ethnographic approach in the extraction of field results, indeed, it is one of the most important methods which focuses on the relationship of the individual and society with space, and which interested on the individual's lifestyle and spatiality as it is and not as it is audible or read. This article aims to study the affective relationship between the individual and the space through the concept of Wohnen, by focusing on the individual's social representations about the space in its comprehensiveness, also by focusing on the daily life of the individual through his spatial behaviors and his Wohnen, and all that is included in the geography of the daily life of individuals. The research will focus on the analysis of the dwelling's components with its individual, societal and spatial characteristics on the one hand, on the other hand, the highlighting of the space's influence with its political, historical, economic symbolysm on the individual, by showing the disparity between the respondents in the district of Anfa and Moulay Rashid.

Keywords: ; Habitus ; Lived space ; Social organization.

* المؤلف المراسل

1.مقدمة:

تبنت الدولة المغربية منذ ستينات القرن الماضي إلى اليوم مجموعة من السياسات العمومية الخاصة بالتراب وبعمارة المكان بالمدينة، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى حل بعض إشكالات المجالات الحضرية، سواء الموروثة عن الحقبة الاستعمارية، أو المستحدثة والناتجة عن نمط إنتاج المدينة الرأسمالية. إلا أن المتأمل في تلك السياسات يسجل حجم التباين بين ما تخطط له الدولة، عبر المخططات وتصاميم التهيئة، وبين ما تعبر عنه الساكنة في مجاليتها ونمط عيشها ومعاشها اليومي وعمارتها للمكان أو ما يسمى بالمستقر، الشيء الذي يطرح عدة تساؤلات حول العلاقة بين الفرد والمجال. ظل مفهوم المستقر محور العديد من الدراسات الجغرافية، والتي كانت تهدف إلى وضع تصور بين مطاوعة المجال من الناحية الثقافية والذاتية والنفسية -أي المجال المعاش الخاص بالتمثلات المجالية وحاجيات ورغبات الساكنة المجالية-، وبين الاختيار السياسي للمجال المرتبط بالتخطيط الحضري (المجال المخطط أو المصمم).

1.1: إشكالية الدراسة.

يقتضي تحليل مفهوم المستقر تفكيك عناصره بمفهومها المادي والاجتماعي والنفسي والثقافي، ولن يتأتى ذلك دون الخوض في خصوصية وتمثلات الفرد للمجال الخاص (المنزل بآلياته التفاعلية: طرق العيش، التنظيم) والمجال العام (الحي، الأزقة، الشوارع، المقاطعة، المدينة) من جهة، وتعميق النظر في التمثلات الاجتماعية من جهة ثانية، باعتبارها عالما من الآراء الخاصة بمجموعة اجتماعية، وشكلاً من أشكال المعرفة التي يتم تطويرها وتقاسمها اجتماعيًا بهدف عملي، والمساهمة في بناء واقع مشترك اجتماعي(YAHYAOUI، 2012، ص 17).

تتطلب مسألة استنباط التمثلات الاجتماعية للأفراد تعميق الرؤية في مضامين الهوية الاجتماعية والمجالية، وتحليل الممارسات الاجتماعية ومجريات الحياة، وتفكيك إشكالية الكينونة والعلاقة الوجدانية مع المجال، وكيفية حدوث الممارسات والسلوكيات في المجال(DODIER، 2009، ص 44). في هذا الإطار، سنحاول خلال هذه الدراسة مقاربة مكونات المستقر بتفاعلاتها في مقاطعتي مولاي رشيد وأنفا، إذ سنحاول التركيز على عينة دراسية صغيرة في كل مقاطعة، بحكم أن المقاربة الكيفية للظواهر تبحث في عمق الظاهرة وليس في امتدادها(أحجيج، 2019، ص 52)، سنحاول الخوض في عمق أنماط العيش والسلوك الفردي، وما يحمله من دلالات مجالية وتأثير هذه الدلالات على السلوك. وذلك من خلال:

- ✓ مقاربة تمثلات ساكنة مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا لعمارة المجال؛
- ✓ مقاربة الهابيتوس habitus عند ساكنة مولاي رشيد وأنفا: مقاربة في أسلوب الحياة؛
- ✓ مقاربة التنظيم الاجتماعي المجالي للمستقر بمقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا؛
- ✓ مقاربة الحياة الحضرية بمقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا؛

2.1. أهداف الدراسة.

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى دراسة السلوك اليومي والممارسات الثقافية للساكنة التي عرفت عملية إعادة الإسكان داخل المدينة، أي من سكن صفيحي إلى سكن التجزءات، وذلك لفهم التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفتها الساكنة، وانعكاس ذلك على مستوى المجال، والوقوف على مدى مراعاة الدولة لحاجيات الإنسان وتمثلاته أثناء عمليات إعادة الإسكان، ومدى استجابة وتجاوب الساكنة

للاختيارات الإستراتيجية للتخطيط الحضري المفروض من طرف الدولة.

لن تقتصر الدراسة على التنظير فقط، بل نهدف من ورائها أيضا إلى فتح رؤية أخرى للتخطيط الحضري التشاركي، الذي يأخذ بعين الاعتبار البعد الإنسي وحاجيات ورغبات الإنسان في المجال، وذلك عبر طرح فكرة الوعي المجالي الذي جاء بها الجغرافي الأمريكي إدوارد صوجا، من أجل ترسيخ فكرة مفادها أن تنظيم المجال، لا يرتكز فقط على الأبعاد المادية، بل إن للبعد العاطفي والوجداني والنفسي دور في هذا التنظيم، أكثر من ذلك، يمكن لهذا البعد أن يلعب أدوارا طلائعية في التهدئة الاجتماعية وفي التنمية الترابية، وفي محاربة ظاهرة الاحتقان الاجتماعي بين المجالات.

3.1. منهجية الدراسة.

ولبلوغ الأهداف المسطرة، سنتبع في ذلك منهجية تتمثل في إجراء مقابلات إثنوجغرافية لمجموعة من المبحوثين في كل مقاطعة (مولاي رشيد، أنفا) كميدان للتحقيق، وأيضا باستثمار دليل المقابلة، بالإضافة إلى تتبع اليومي المعاش الخاص بهم، عبر الملاحظة بالمشاركة وتفريغ مخرجاتها عبر الحكي والسرد النظري، والتحليل الذي سنعتمد فيه على تقنيات الترميز الدلالي، أي إعطاء معنى ودلالة للكلام المسموع عبر كتابة تحليلية جغرافية، إذ أن المقابلات لا تمنحنا وقائع، وإنما كلمات(Bourdieu ، 1968، ص 36).

سنعتمد أيضا على التحريات الإثنوغرافية التي ستساهم في نقل الواقع المعاش في حقيقته وليس كما يحكى عنه، سنركز بشكل أكثر تحديدًا على التجارب اليومية للأفراد، من خلال محاولة فهم الممارسات الاجتماعية التي تناسبهم بشكل أفضل. سنحاول أيضا دراسة سلوكات الأفراد والجماعات، من أجل تفسير هذا الواقع بأكبر قدر ممكن من الدقة كما تتصوره المجموعة نفسها.

4.1. الإطار المجالي والزمني للدراسة.

قمنا بحصر مجال الدراسة كما هو وارد في العنوان في مدينة الدار البيضاء، وتم اختيار مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا كميدانين للتحقق ولاستخلاص النتائج. وقد تحكمت مجموعة من العوامل في هذا الاختيار، إذ جاء اختيار مقاطعة مولاي باعتبارها منطقة تندرج حسب نظرية المركز والهامش لصاحبها سمير أمين ضمن هامش مدينة الدار البيضاء، بحمولته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبقية والمجالية، فهذه المقاطعة وكما توضح أرقام المندوبية السامية للتخطيط تضم مؤشرات سلبية من حيث المعطيات الاجتماعية والديمغرافية والاقتصادية، من قبيل ارتفاع المؤشرات المرتبطة بمظاهر الأمية، ارتفاع الكثافة السكانية، ارتفاع البطالة، ارتفاع معدلات الفقر والهشاشة، السكن الصفيحي والسكن المتقادم...

في حين تتميز مقاطعة أنفا بمؤشرات اجتماعية واقتصادية إيجابية، من خلال انخفاض معدلات الأمية والفقر والهشاشة، كما تتميز بمعدلات مرتفعة من حيث مؤشر النشاط الاقتصادي، وبسيادة الفئات الغنية وأحياء الفيلات، إذ تضم المنطقة أغلى العقارات في المغرب، الشيء الذي جعلنا ندرجها كنموذج عن مركز مدينة الدار البيضاء الذي يضم أيضا مقاطعات المعاريف وسيدي بليوط.

2.الإطار النظري للدراسة

انتشرت جغرافية المستقر l'habiter la géographie de على نطاق واسع خلال تسعينات القرن الماضي، واعتبر المستقر خلالها أحد مكونات طرائق الوجود في العالم، إذ يشكل مجموع الممارسات المجالية المندرجة ضمن

جغرافيـة الحيـاة اليوميـة للأفـراد (DODIER، 2009، ص 43), يجمـع هـذا النـوع مـن أشـكال العـيش بـين طريقـة العـيش في المنزل، بـالمعنى الكلاسـيكي للعـيش، والممارسـات المجاليـة والنفسـية والذهنيـة للفـرد في المجـال، وهـي ممارسـات ضـرورية للانـدماج المـادي للفـرد في المجتمع. وحينما نتحدث عن الاندماج المادي في المجال، فإننا نتحدث عـن أسـاليب الوجـود في المجال، وتحليل أساليب الوجود وطرائق الوجود يتطلـب استحضـار مفهـوم الهـابتوسl'habitus عند بيير بورديو، أي استحضار الصورة الذاتية والطـابع الاجتمـاعي للأفـراد والخصـائص الشخصية التي تميز الفـرد عـن بـاقي الأعضـاء الآخرين في المجتمع (أحجيج، 2018، ص 52).

يتميز مفهوم المستقر بكونه معطى فرديا مجردا ذا خصوصية ذهنية ونفسية وجدانية وثقافية، تحيـل في الآن نفسـه على ملمحـين اثنـين: ملمـح الكينونـة ومرافقـة المجـال للفـرد وملمـح العـيش فيـه، كمـا يعتبر شـكلا مـن أشـكال عمـارة الحي الفاني للأرض دون قيد صارم فاصل بين الأحياز الزمكانيـة، إذ لا تتحقـق بالضـرورة عمـارة المكان بسياسـة جيـدة للإسـكان، أو هندسـة معماريـة راقيـة أو تصـور عمراني ذي جماليـة إبداعيـة، بقـدر مـا تتحقـق بحصـول الانسـجام مـع رغبـة الفـرد في الاسـتقرار، واسـتيعابها فكريـا مـن لـدن القيمـين على العمـران ومـا يـرتبط بـذلك مـن سكينة وعلاقة وجدانية بالمكان (YAHYAOUI، 2020، ص 121).

3. تمـثلات سـاكنة مقاطعـة مـولاي رشـيد ومقاطعة أنفا لعمارة المجال

نستهل دراستنا عن المستقر بالإشارة إلى تمثلات الساكنة لعمارة المجال على مستوى المنزل والحي من جهة، وعلى مستوى المعمار ونوعية الساكنة مـن جهـة أخـرى، واضـعين في عـين الاعتبـار التعريـف الـذي قدمه M. Ségaud للمسـتقر في معجم le « dictionnaire de l'habitat et du logement" الـذي أشـار فيـه إلى أن المسـتقر هـو: *"البقـاء فـي مكـان معـين وإعمـار منـزل"*، ومستحضرين أيضا تعريف ستوك في قاموس dictionnaire de la géographie et de l'espace الذي عرف من خلاله المستقر بكونه" *مجالية الفاعلين الفرديين"*. إذ لـن تتـأتى دراسـة المسـتقر دون التركيـز علـى السـكن وطريقـة احتلاله (DODIER، 2009، ص 45).

نشـير إلى أننـا ركزنـا اهتمامنـا في مقاطعـة مـولاي رشـيد على الأحيـاء الشـعبية السـتة (المجموعـة 1،2،3،4،5،6)، وهـي أحيـاء تتميـز بالسـكن المغربي العصري المبني خلال سنوات الثمانينات، في إطار إعـادة إسـكان سـاكنة دور الصـفيح بـابن امسـيك سـيدي عثمـان. معظـم هـذه الأحيـاء خصوصـا حي مـولاي رشـيد 1،2،3،4 عبـارة عـن سكن مكتظ، ويتميز بارتفاع الكثافة السكانية، أزقـة ضـيقة، سـكن مـن ثـلاث طوابـق، سـكن مشـترك، غيـاب المسـاحات المفتوحـة والمسـاحات الخضراء ومجالات الترفيه.

أفـرزت نتـائج المقـابلات الإثنوجغرافيـة الخاصـة بتمثلات سـاكنة مقاطعـة مـولاي رشـيد عـن تبـاين هـذه التمـثلات، وذلـك حسـب الأصـل الجغرافي وتـاريخ الاسـتقرار في المكـان، إذ تتـأثر تمـثلات السـاكنة تبعـا لتـاريخ مجاليتهـا. على الـرغم مـن محاولـة جيـل العقـدين الأخيـرين محـو هـذا التـاريخ، إلا أن ملازمتـه تتعـدى مجـال مقاطعـة مولاي رشـيد ليصل صداه إلى كل أرجاء المدينة، إذ يبقـى سـاكن مـولاي رشـيد موسـوما بتـاريخ السكن غير اللائق بـابن امسـيك، لـم يعـد تمثل السكن مرتبطا بالحاضر، بقدر ما يتأثر بالعامل التاريخي.

"اليـوم وعلى الـرغم من أننـا قضـينا أزيـد من 30 سـنة في هـذه المنطقـة، إلا أننـا مازلنـا أبنـاء حي مولاي رشـيد بحمولتها القدحية، هـذا الحي كان في فتـرة من الفتـرات موطنـا للتسـكع والانحـراف

والجريمة، وهي مظاهر تم جلبها من الكاريان، ولم نستطع إلى حدود الساعة طمس هذه الهوية التي بدت تغذي أفكار الأجيال اللاحقة، والتي ما فتئت تتباهى بقوة وإجرام هذا الحي من خلال عبارات:" سير راني ولد زيرو كات 04، راني ولد حي مولاي رشيد" .(رشيد، 48 سنة، عامل بشركة، مولاي رشيد3).

دفعتنا هذه الشهادة إلى استحضار مقولة هايدغر، والتي دعا فيها إلى عدم فصل العلاقة بين السكن والعلاقة مع العالم كله، وأن المستقر عبارة عن طريقة للوجود في بعدها الأخلاقي مع المجال (THEBAULT ، 2008، ص 15)، فلم تعد عمارة المجال ذات حمولة ومعنى مادي، إذ أصبحت تركز على البعد النفسي والأخلاقي، فقد تخلى المجال عن ثلاثيته المعهودة المتمثلة في الطول والعرض والارتفاع، واختفت فجأة التصاميم والمخططات والهندسة المعمارية، وظهرت الجوانب الوجدانية والعاطفية مع المجال، انتهى عمل المجال المخطط منذ الثمانينات والتسعينات، لكن استمرت الخلفيات المترتبة عن اختيارات الدولة في إعادة توطين ساكنة دور الصفيح، أي أن العملية، يجب أن لا تقتصر على بعدها المادي، إذ لابد من استحضار المقاربة الإنسية والوجدانية في التعامل مع المجال. فإلى متى سيستمر قاطن مقاطعة مولاي رشيد في حمل هذا الثقل الذي لم يكن مشاركا في التخطيط له؟

يعتمد المستقر إلى حد كبير على التمثلات التي يصوغها الفرد، والتصور الذي لديه عن بيئته المادية والاجتماعية، كما أنه يقوم على إسقاط الفرد في المجال، والقصد من هذا الإسقاط هو الاستيلاء والاستثمار النفسي. حاولنا من خلال هذا الإسقاط تتبع مجالية الأفراد المبحوثين، باعتبار أن الأفراد يسكنون المجال نفسه، في إطار البحث عن علاقة الفرد والمجتمع بالمجال، فوجدنا أن جل المبحوثين لهم نفس التصور والتمثل العام حول مجال مقاطعة مولاي رشيد، والمجرد من حمولته المادية، والمركز على الحمولة الثقافية والنفسية، فتأثرت الهوية الاجتماعية لقاطن مولاي رشيد بالهوية المجالية، وأصبحت هذه الأخيرة مصدر قلق اجتماعي، ولم يعد الفرد يعيش في فردانيته، ولم يعد حقيقة بيولوجية فقط، إنه أيضًا واقع اجتماعي معقد.

يتطلب تحليل المستقر التركيز على السكن، وعلى الطريقة التي يشغل بها الأفراد محل إقامتهم، وتوزيع الأدوار والمساحة بين أفراد الأسرة، والتركيز على طول الوقت الذي يقضيه الفرد في السكن، وعلى الظروف الاجتماعية التي يعيشها داخله، والتصميم الداخلي الذي يعكس طرق العيش المختلف، أي التركيز على طرق الإقامة في مكان إقامة الفرد. في هذا الإطار، يتميز السكن والمعمار عموما في أحياء مولاي رشيد بالتقادم وبتشويه الواجهة والمشهد الحضاري، وهي كلها مؤشرات على الفقر الحضري الذي يميز الساكنة. كما تتصف عمارة المجال بالفوضى الحضرية، وهذا ما يتضح من خلال غياب التنطيق وانتشار العشوائية في استعمال المجال:

– *" كما تلاحظ معي فالمنطقة الوحيدة في المدينة التي يمكن أن ترى فيها حظيرة للدواب والدواجن هي حي مولاي رشيد أمام غياب أي رقابة مجالية للسلطة، يمكن أن تلاحظ في الحي ذاته مكان لبيع الخضر وأماكن لممارسة المهن الحرة من حدادة ونجارة...، تتضح هذه المظاهر بشكل جيد في الجوطية التي تعج بكل مظاهر الفوضى، لم يعد يقتصر السكن فقط على وظيفته الكلاسيكية المتمثلة في النوم والطعام وممارسات العيش، بل تعداه إلى تخصيصه للمهن الحرة، أو تربية الدواجن" . (بوشعيب، 38 سنة، مولاي رشيد 4)*

يتميز تقسيم الأدوار والعمل في مقاطعة مولاي رشيد بالتباين بين رب أسرة أخذ على عاتقه التكفل بقوامة السكن، وأسر أخرى تركت المسألة للمرأة في ظل بعض الظروف الخاصة بكل أسرة، وهي حالة ح.ن التي تكفلت بأبنائها الأربعة.

– *أصبحت وحيدة في هذا العالم المظلم، أشتغل خادمة في البيوت، وجدت العمل بصعوبة، فكون بطاقتي الوطنية تحمل عنوان حي مولاي رشيد؛ يجعل كل الأسر البيضاوية تحاول الابتعاد ما أمكن عن هذه الشريحة من الساكنة، فأبنائي لا يرغبون في الدراسة، أما الابن الأكبر فأظن أنه يسير على خطى أبيه في الإجرام، إذ نقطن في غرفة واحدة، بينما نتقاسم المرحاض والمطبخ مع الجيران، وهذا مقابل 800 درهم كسومة كرائية، (ح.ن، 42 سنة، مولاي رشيد3).*

يتبين من خلال هذه الشهادة بعض مستويات العيش في المقاطعة، إذ يتضح مثلا عيش خمسة أفراد في غرفة واحدة مكونة من ابنين وفتاتين مراهقتين، فالمسافة بين الأفراد لن تتعدى متر إلى مترين، ونسجل أيضا تقاسم المرحاض والمطبخ الذي يحيل على التصميم الداخلي للمنزل. واضح أيضا من خلال غياب أي تأطير أسري أو اجتماعي الفترات الزمنية التي يقضيها السكان في الغرفة. إقامة الفرد في هذا المجال الضيق سيفرز لا محال انعكاسات على مستوى السلوك خارج المنزل، وسيؤثر على الهوية الاجتماعية، وسيخلف آثارا نفسية سلبية وعكسية، سرعان ما ستظهر على المجال وعلى الهوية المجالية، وهو ما يؤكد الفرضية الأولى التي انطلقنا منها. فتحديث منطق مسار الحياة من وجهة نظر فردية بحتة، لن يتأتى دون إعادة دمج البعد الاجتماعي والسياقي للتجارب الماضية (Martouzet، 2009، ص 9). فالمكان والزمان إذن متداخلان، ومعنى ذلك أن دلالة المكان لا تكمل إلا بالغيرية والزمان اللذين يعطيان للمكان العيني أو الاجتماعي دلالات فكرية إضافية (بلفقيه، 2002، ص 378). فإذا كان سكان مولاي رشيد يتبرؤون من هويتهم التاريخية والاجتماعية والمجالية، فكيف هو الحال بالنسبة لساكنة مقاطعة أنفا؟

تعرف مقاطعة أنفا بسكنها المتنوع المتكون في غالبيته من الفيلات والعمارات ذات أربعة وخمسة طوابق، كما تتميز بتباين طبقاتها الاجتماعية الموسومة بالاحتكاك الأوربي، الشيء الذي يجعل تمثل المجال يختلف من فئة إلى أخرى، باعتبار أن إنتاج الخطاب عند الأفراد ليس مستقلا عن خصوصياتهم الاجتماعية، والتفسيرات مرتبطة دائما بمتغيرات مثل السن، الجنس، الوضعية الاجتماعية والمهنة الممارسة (بزيز، 2007، ص 36).

خلال هذه المقاربة، سنسلط الضوء على العلاقة المبنية بين الأفراد وبيئتهم، باعتبار أن تمثلات الأفراد لمجالهم يجب أن تأخذ في ديناميتها، كما أن استنباط ما يتضمنه المجتمع من مواقف ومن فوارق وما ينتج عن هذه الفوارق من تباين في المواقف إزاء المجال نفسه، أي الدور الذي يقوم به المجال في إعادة إنتاج البناء الاجتماعي (شويكي، 1994، ص 600) لن يتأتى دون تنويع مستويات المقاربة في هذا المجال المعروف بتمايزاته السوسيومجالية، أي أننا سنأخذ نماذج من سكن الفيلات ونماذج من العمارات، وأخرى من السكن الصفيحي.

فإذا كان قاطن مقاطعة مولاي رشيد يتبرأ من مجاليته ومجتمعه، فإن قاطن سكن الفيلات أو سكن العمارات بمقاطعة أنفا يفتخر بكينونته المجالية وبهويته الاجتماعية، فقد طغى اسم أنفا على تمثلات المستقر أو عمارة المجال عند الساكنة، ولم يعد السكن محددا مباشرا في الهويات، بل التواجد والتموقع في هذا المكان هو المحدد. حيث يعتبر قاطنو الفيلات السكن

وسيلة للعيش ليس إلا، وأن لا فرق بين سكن الفيلات وسكن العمارات أو أي نوع من السكن، فالأساسي هو الوظيفة التي يؤديها السكن أي الإيواء، وأن ما يتمثل عند عامة الناس خاطئ، فمن يلاحظ الفرق هو غير المتملك أو الساعي للوصول إلى مراتب البورجوازية:

– *"الناس في تصوراتهم للسكن مختلفون وتطغى عليهم بعض الأحكام القبلية، من قبيل أن سكان أحياء الفيلات مختلفون ويمارسون حياة الترف والبذخ، نحن لا نعير السكن تلك الاهتمامات الكبرى، فأنا أستغله فقط ليلا، والمستمتع به حقا هو الحارس والخادمة. أنظر لتلك البناية، فهي لقروي باع أملاكه في البادية واقتنى فيلا، فهل سننظر إليه من خلال أصله الجغرافي أم من خلال سلوكاته في المنطقة، اقتنى ذلك المسكن بثمن باهظ فقط للسكن في عين الذئاب، يجب أن يهتم الناس بالإنتاج والمردودية والعلم عوض التهافت للوصول إلى المجد دون مجهود" (الحاج الفاسي، 66 سنة، عين الذئاب، أنفا)*

يتضح من خلال هذه الشهادة أن المستقر عبارة عن علاقة بين الفاعل والمكان ومجال الوجود(Hugues، 2007، ص 88)، إذ تتأثر تمثلات الساكنة بمجموعة من المحددات، من بينها الوضعية الاجتماعية، فالفئات الغنية لها تصورها الخاص الذي يستغن عن المظاهر المادية الملموسة، يتأثر المستقر أيضا بالأصل الجغرافي، إذ يتضح أن الغرض الأساسي من المستقر عند ذوي الأصل القروي هو التباهي بوجوده في المنطقة، إذ أن مظاهر الحرمان والإقصاء الاجتماعي والتهميش المجالي في البادية دفعت بعض السكان إلى التفكير في أسلوب وجود يساهم في ترقيتهم الاجتماعية، فأصبح المستقر بذلك وسيلة للشرعية المادية والثقافية، وهدفا لإثبات التمدنية، من خلال استثمار التعمير والمعمار كخلفية، فهل هذا يكفي للحديث عن التمدنية في مقاطعة أنفا، أم أن المسألة تتطلب سياقا ثقافيا ومدة زمنية غير محددة؟ فالحديث عن التمدنية هو حديث عن الاندماج الثقافي والاجتماعي للأفراد في المدينة والحي (الناصري، 2017، ص 312).

من جهة أخرى وحسب الشهادات المستقاة من باقي الأحياء، فلا يخفي قاطنو سكن العمارات وخصوصا في بوركون والراسين تفاخرهم بمستقرهم، إذ يعتبرونه كما أسلفنا الذكر وسيلة للارتقاء الاجتماعي، فقاطن بوركون والراسين في نظرهم، يختلف عن قاطن سيدي عثمان أو سيدي مومن أو باقي الأحياء الشعبية المتاخمة لمركز المدينة والمدينة الأوربية سابقا، فلا تتطلب المسألة تعميق التفكير للحكم على شخصية الفرد أو مستواه الثقافي، فمكان الإقامة هو المحدد المباشر في نظرهم، إذ تلعب عمارة المكان دورا حاسما في تحديد هوية الفرد الاجتماعية، كما تتميز هذه الفئة بإرادة صارمة مرتبطة بالصعود الاجتماعي، والرقي إلى مصاف الطبقات المهيمنة.

– *بمجرد القول بأنك إبن منطقة بوركون فإن ذلك إعلان بمكانتك الاجتماعية بغض النظر عن سكنك، أما امتلاكك لسكن فاخر أو شقة ممتازة في هذا الحي فهو ارتقاء إلى مصاف البورجوازية، امتلك شقة من 120 متر، وأقطن فيها رفقة زوجتي وابني، وتقريبا كل سكان هذا الحي لهم نفس المساحة، كنت أقطن في حي الإنارة بعين الشق، قمت ببيع شقة هناك، واشتريت هذه، فزوجتي دائما ما كانت تشتكي من ساكنة ذلك الحي، كما أن جل صديقاتها من سكان بوركون. (جمال، مسير شركة، 43 سنة، بوركون).*

يتضح من خلال هذه الشهادة مدى احتقار باقي أحياء مدينة الدار البيضاء، والسعي وراء كسب الهيبة الاجتماعية من خلال السكن في منطقة بوركون، كما أن حب التباهي أعطى للمستقر

معنى آخر غير المعنى المخصص له، إذ أصبحت تحدد هويته من خلال البناء الاجتماعي للمجال عبر شبكات التقارب (شبكة الأسرة والأنشطة الاجتماعية) ومحدداتها المكانية (موقع المنزل الموروث أو المختار) المرتبطة بالسياق الجغرافي والعائلي والثقافي والاقتصادي، فالخيارات المكانية للموقع متداخلة في المجال الاجتماعي والعلائقي. وهكذا، فإن علاقة الأفراد بالمستقر مبنية على الشبكة الاجتماعية التي ينسجونها، بحيث يميل البعد الاجتماعي الذي يأخذه أي مجال إلى فرض نفسه في تشكيل طرق التعامل مع عمارة المجال، وهكذا يبدو أن المنطق الارتباطي الذي يربط المجالات المختلفة معًا يعتبر محددًا لفهم هيكل المستقر. فالمجال لا يشكل بالنسبة للأفراد والجماعات مجرد هياكل مادية فحسب، بل هو أيضا حقل لترويج القيم وللتعامل بالرموز (شويكي، 1994، ص 600).

4. الهابيتوس habitus عند ساكنة مولاي رشيد وأنفا: مقاربة في أسلوب الحياة.

لن يتأتى تعميق النظر في مفهوم المستقر بشكل جيد دون الخوض بعين متأملة في ملمح العيش فيه وملمح الكينونة به وفيه، لأجل هذا الغرض، وظفنا خلال هذا المحور مفهوم الهابيتوس، والذي تم تطويره من قبل الفرنسي بيير بورديو لمقاربة بعض الظواهر الاجتماعية والمجالية في شموليتها، فهو مفهوم مركب ومعقد، يجمع في طياته كل مظاهر العيش والثقافة والسلوك وأنماط وأساليب الوجود ذات المصدر الاجتماعي والمتأثرة بالعنصر المجالي أو العكس. سنستهل مقاربة هذا المفهوم محليا، أي حسب خصوصيات ساكنة مولاي رشيد وأنفا بالتعريف الذي قدمه أندري لالاند لهذا المكون، إذ اعتبره " ظواهر اجتماعية يمكنها أن تنتج عادة من دون أن يكون المشاركون فيها واعون بها: واللغة والطبائع أمثلة عنها" (أحجيج، 2018، ص 45)، فإذا كان الفرد يتميز بخصوصياته الذهنية والنفسية والوجدانية، فإن تواجده في مجال معين من شأنه التحكم في تلك الخصوصيات، فلا يمكن لمجالين مختلفين من حيث المكونات المجالية والاجتماعية أن يفرزا نفس الشخصية ونفس الثقافة والطبائع.

يتميز ساكن مقاطعة مولاي رشيد ونقصد بالضبط قاطن الأحياء الشعبية الستة المذكورة سلفا بخصائص مستلهمة من مجاله المعاش والمدرك، وهذا الأخير بالضبط يؤثر في المجال الأول، فبمجرد التواجد في هذه الأحياء، يعطي ذلك انطباعا لدى الفرد بأنه يتميز بشراسته وقوته وعدم خوفه من السلطة أو المجتمع، فالإشعاع الذي يمنحه المجال للفرد، أفرز ظواهر اجتماعية من قبيل التمرد على المجال بدون أدنى خوف، احتلال الملك العام، انتشار الباعة المتجولين، فوضى وسائل النقل غير المهيكلة، هذه السلوكيات لن يستطيع قاطن هذه المنطقة عملها في مجال آخر غير هذه المجالات:

– *نحس داخل هذا النطاق (مقاطعة مولاي رشيد) أننا في امتداد لمنازلنا الشخصية، فنحن نمارس حياتنا في مجال خاص وليس في ملكية أحد، نتصرف بحرية في هذا الحي ولا أحد يستطيع أن يحاسبنا، أحمل في دراجتي النارية (تريبورتور) أكثر من عشرة أفراد، مقابل خمسة دراهم للفرد، فأنا بهذا أفضل من سائق سيارة الأجرة، لا نعترف بشيء اسمه القانون، بل لدينا عرف ينظم حركتنا مع باقي أصحاب الدرجات، لكن لا نستطيع القيام بهذا خارج هذا المجال، فالشرطة ستأخذ الدراجة إلى المحجز البلدي. (لحسن، 38 سنة، مولاي رشيد 4).*

نسجل من خلال هذه الشهادة مدى تطبع الفرد بطبائع وخصوصيات مجاله، فبدون وعي، تمارس المجالية من قبل الأفراد بتأثير من المجال

نفسه، كما نسجل أيضا فكرة عن الحميمية المجالية، إذ يلعب المستقر لمعظم الناس دورًا محوريًا في هيكلة المجال المعاش الخاص بهم. معلوم أن السكن هو فوق كل شيء مجال وجداني، ويفصل بوضوح بين الخارج والداخل: الخارج هو مجال اجتماعي يجب على المرء أن يؤلفه مع الآخرين، بينما الداخل هو مجال الحرية. يتم نشر الحميمية أيضًا في أماكن أخرى عمومية بفعل عامل الانطباع، وهذه الأماكن تشارك في بناء الفرد لمستقره (DODIER، 2009، ص 46).

أشار بيير بورديو إلى أن الهابيتوس عبارة عن منظومة من الاستعدادات الدائمة التي اكتسبها الفرد خلال عملية التنشئة، وهذه الاستعدادات هي مواقف واتجاهات وميول للإدراك والإحساس والتفكير، مستبطنة من طرف الأفراد نتيجة للظروف الموضوعية لوجودهم، والتي تشتغل كمبادئ لاشعورية الإدراك وللتفكير(BOURDIEU، 1980، ص 88). يشير هذا المفهوم إلى بعض المكونات الأساسية في فهم الهابيتوس وهي: العامل الشخصي، عامل الزمن، وعامل الوسط. تتأثر شخصية وثقافة الفرد بالفترة الزمنية التي قضاها في المجال، إذ لا يمكن تبني مواقف واتجاهات دون فترة زمنية تساهم في خلق هوية اجتماعية، فمعظم سكان أحياء مقاطعة مولاي رشيد الستة استقدموا في نفس الفترة الزمنية، ولهم نفس الأصل الجغرافي المتمثل في السكن الصفيحي. حيث ساهم هذا الأخير في التنشئة الاجتماعية والمجالية لقاطني مقاطعة مولاي رشيد، واعتبر هذا الأخير امتداد لثقافة السكن الصفيحي بابن امسيك سيدي عثمان، فالظروف الموضوعية لوجود هؤلاء السكان قد ساهمت في إعادة إنتاج أنماط عيش وسلوك ذلك الوسط. فالهابيتوس موقف وسلوك، وخاصية دائمة يصعب تغييرها، وهو أساس الاختيارات التي يتخذها كل شخص، وأساس ما يقوم به من أفعال على حد تعبير أرسطو (أحجيج، 2018، ص 46).

" الناس هنا مازالوا يعيشون على عقلية الكاريان، الكل يتصرف بحرية وفي إطار اللاقانون، أحيانا يتم حرماننا من النوم بفعل سلوكيات بعض الشباب، والغريب في الأمر، أن الأجيال الصاعدة تكون متأثرة بأفكار وسلوكيات الأجيال التي قبلها، معظم الشباب والأطفال لا يرغبون في الدراسة، يفكرون في الهجرة، أو ممارسة بعض السلوكيات الانحرافية، وهي في معظمها سلوكيات مستقدمة من الكاريان، لم يستطع الآباء تجديد ثقافاتهم وتوريث ثقافة حضارية لأبنائهم". (ليلى، 28 سنة، مستوى جامعي، مولاي رشيد 3).

فإذا كان هذا هو الوضع في أحياء مقاطعة مولاي رشيد، فما هي خصوصية مقاطعة أنفا المتميزة بارتفاع مؤشراتها الثقافية الايجابية؟ للإجابة عن هذا السؤال، ننطلق من فرضية مفادها أن الهابيتوس هو نتاج المجال والمسار الاجتماعي للأفراد. نشير هنا أن مقاطعة أنفا تتصف باختلاف المواقع وتباينها، حيث نميز فيها بين مجال الفيلات، ومجال العمارات، ثم مجال السكن العشوائي والصفيحي، فلكل مجال من هذه المجالات خصوصيات ثقافية وأساليب حياة متنوعة. فكل مجتمع مهما كان، يقوم بصياغة ممارسات تقنية وقواعد للسلوك، ويبني تمثلا للعالم، وفق هذا المنطق فهو يؤسس لثقافة الهوية الجماعية (بزيز، 2007، ص 105) .

تتسم ساكنة مجال الفيلات بثقافة الاختلاف والابتعاد عن المألوف وعن الثقافات الشائعة والمعتادة، بحثا عن التميز عن باقي الفئات الاجتماعية، وتترجم ثقافة هذه الفئة في شكل تمظهرات قائمة على الذات، يتجلى ذلك من خلال الاهتمام المفرط بالجسد والتردد على أماكن تجميل باهظة الثمن، واقتناء مستلزماتها

من علامات تجارية عالمية، والتسوق والتبضع من الدول الأوربية المجاورة، وقضاء العطل الأسبوعية خارج المغرب بغية الترفيه عن النفس، وعدم التواجد في الأماكن العمومية أو الحفلات العمومية أو التردد حتى على الشاطئ القريب منهم "عين الذئاب"، باعتباره أصبح متنفسا للجميع، تتجلى أيضا هذه التمظهرات الثقافية من خلال نظام التغذية الذي تحاول هذه الفئة ما أمكن أن تجعله مغايرا، حيث تتبنى حميات تغذية طبية، بغية الحفاظ على الرشاقة واللياقة، كاعتماد نظام غذائي نباتي مكلف، أو استيراد أنظمة غذائية من دول الشمال:

– *"أحاول ما أمكن الاعتناء بجسمي وبذاتي، أمارس الرياضة بانتظام في الصباح الباكر قبل الذهاب إلى العمل في مركز جيم اناستازيا، أتناول وجبة فطور صحية، تحت وصاية طبيبي الخاص، أقتني مستلزماتي التجميلية من فرنسا التي أزورها مرتين في الشهر، لا أتردد كثيرا على المطاعم، فلدي نظام خاص، تساعدني الخادمة في إعداده، لدي صديقات لهن نفس النظام ونفس العادات اليومية. (سناء، 38 سنة، صاحبة مقاولة، عين الذئاب).*

واضح من خلال هذه الشهادة مدى حضور الانفرادية والمجالية في الممارسات اليومية. يستخدم ويطور الأفراد مجموعة من الأماكن، تخصص هذه الأخيرة في عموميتها للأنشطة المهنية والترفيه والسفر والاستجمام وما إلى ذلك. فمجموعها عبارة عن شبكة يمكن تمثيلها في ثلاثة أبعاد وهي: المسافة والزمن والتردد، وتجميع هذه الأبعاد من شأنه رسم خريطة مجالية للممارسات الفردية، وهي من سيولد ويحدد معالم الهوية الاجتماعية للساكنة. فمجالية الفرد عبارة عن روابط تفهم في ديناميتها وتحدد عنصر الهوية المتعلق بتجربة المجالات المتردد عليها، كأبعاد للذات التي تحدد الهوية الشخصية للفرد المرتبطة بالمجال (**THEBAULT**، 2008، ص 17).

أما في ما يخص سكان العمارات، فهذه الفئة تفكر في ما يمكن أن يرفع من شأنها اجتماعيا، وذلك من خلال تبني سلوكيات ومواقف تعتبرها سلوكيات الطبقات الراقية، فما دامت تعيش على رقعة جغرافية تتميز بهيمنة الفئات الغنية، فالشغل الشاغل لهذه الفئة هو الصعود الاجتماعي عبر الثقافة، ما دام الصعود الاقتصادي يتطلب مدة زمنية غير معروفة أو يمكن أن لا يحصل بتاتا. تركز هذه الفئة على القيم المثلى مثل العمل والنظام والصرامة والدقة، معتقدة بذلك أنها من أولويات الطبقات البورجوازية، تحاول الاهتمام بأساليب اللباس ليس من أجل الذات وإنما من أجل الآخر، من خلال التردد على الماركات التجارية العالمية المتواجدة بالمدينة، تهتم أيضا بالأثاث عبر تغييره كل سنة أو سنتين، تهتم بالأنشطة الفنية والموسيقية الكلاسيكية الراقية، معتقدة أنها من أذواق ساكني الفيلات، تحاول ترقية الهوايات الخاصة بها، من خلال التردد على ملاعب الكولف المتوطنة في أنفا ذاتها، بالإضافة إلى التردد على ملاعب التنس المتاخمة:

– *" أحاول أن أنظم وقتي قدر المستطاع، أقسم الوقت بين العمل والمنزل وتربية ابني والترفيه، كل صباح أرافق ابني إلى المدرسة، ثم أذهب مباشرة إلى العمل، وفي المساء بعد العودة إلى المنزل وقضاء ما يلزم، أذهب إلى النادي رفقة بعض الأصدقاء، نمارس رياضة التنس، أما في العطل الأسبوعية فنمارس رياضة الكولف في الملعب الملكي. بالنسبة للمنزل، أمتلك شقة من ثلاث غرف، نعيش فيها نحن الثلاثة(الزوج، الزوجة، الإبن)، زوجتي موظفة هي الأخرى مولوعة بتغيير شكل المنزل بين الفينة والأخرى، نذهب إلى السينما كلما ظهر نشاط فني. أقضي*

العطل الصيفية بين مدينة افران وطنجة". (سعيد، موظف في شركة، 42 سنة، الراسين).

يتضح من خلال هذه الشهادة مدى ارتباط الهابيتوس بالمجال الاجتماعي وبالمواقع الاجتماعية. وهو ما يؤكد طرح بيير بورديو في هذا الباب، الذي وصف المجال الاجتماعي بحقل قوة، أي أن المجال الاجتماعي مجال سلطة موزعة بطريقة متفاوتة، فلكل فرد ثقل معين (رأسمال) في اللعبة الاجتماعية، يستعمله لتحسين موقعه، أو للحفاظ عليه، وهذه المواقع متمايزة فيما بينها، بمعنى أنها تتوزع إلى مواقع مهيمنة وأخرى مهيمن عليها تبعا لأحجام وبنيات الرأسمال الذي راكمه كل فاعل خلال حياته (أحجيج، 2018، ص 107). تتمثل المواقع المهيمنة في ساكنة الفيلات المتميزة بامتلاك جميع أنواع الرساميل، في حين تتمثل المواقع المهيمن عليها في قاطني العمارات المجاورة لسكن الفيلات، والتي تهدف إلى تحسين مواقعها. وهذا الموقع الاجتماعي المبني انطلاقا من الرأسمال الاقتصادي والرأسمال الثقافي، يمثل أفضل تنبؤ بممارسات وتمثلات الفاعلين الاجتماعيين(أحجيج، 2018، ص 111). وكلما كان الرأسمال الثقافي فعالًا، كلما ساهم في تحديد الموقع داخل المجال الاجتماعي.

تركز الفئة الأخيرة المدروسة المكونة من الطبقات الشعبية القاطنة في السكن العشوائي والسكن الصفيحي على ضروريات الحياة كما أسلفنا الذكر، فلن تجدها تهتم بالذات أو التباهي، بل بالكاد تنشغل بتوفير قوت العيش، وتأمين مستلزمات البيت:

– *أقطن في البراكة (سكن صفيحي) رفقة أبنائي الأربعة، لا تتعدى 40 مترا، أشتغل في الصباغة، أقضي اليوم كله في العمل، زوجتي ربة بيت، أشتغل طيلة الأسبوع، قلما اجعل يوم الأحد كيوم راحة، أقتني مستلزمات المعيشة في سويقة الحي الحسني عندما أكون عائدا في المساء من العمل، أما في العطل المدرسية، فأرسل أبنائي إلى البادية (العروبية) عند جدهم، نعيش بشكل عادي، وفي فصل الشتاء نعيش ظروف صعبة ماديا كون العمل يقل في هذا الفصل". (أحمد، صباغ، 46 سنة، السكن الصفيحي المتواجد في سيدي عبد الرحمان)*

تبرز لنا هذه الشهادة مدى تشبث الفئات الشعبية بمقومات وشروط الحياة الضرورية، فهي لا تفكر سوى في العمل، التنقل، الترفيه (موسميا في العطل الصيفية)، وهي من بين الوظائف البشرية التي تطرق إليها هيدغر خلال حديثه عن المستقر في محاضرته سنة 1954(YAHYAOUI، 2020، ص 121). وضحت لنا الشهادات السابقة مدى تفاوت الهابيتوس حسب المواقع الاجتماعية في المجال الاجتماعي. فوجود الطبقات يمثل رهانا للصراع في مجال التمثلات وفي الواقع معا، فالطبقة الاجتماعية تكون لها حظوظ الوجود عندما يكون الفاعلون الذين يكونوها متقاربين في رقعة المجال الاجتماعي. أيضا نسجل تطابق ممارسات معينة في المجال الاجتماعي، حيث تتم ترجمة مجال المواقع الاجتماعية إلى مجال من الاستعدادات المستبدنة (أذواق، رغبات، ممتلكات) ومن المواقف (آراء، تمثلات). فكل طبقة اجتماعية ترتبط بطبقة هابيتوسات ناتجة عن التشريطات الاجتماعية المطابقة، فالهابتوس هو ما يوحد اختيارات الأشخاص والممتلكات والممارسات في كل قطاعات الحياة الاجتماعية (أحجيج، 2018، ص 113).

كما يظهر أيضا من خلال مقاربة هذه الفئات الثلاث أن خصائص الفاعلين (ممارساتهم) تطابق إحصائيا مواقعهم الاجتماعية، ولا سيما طبقة شروط الوجود التي ينتمون إليها، إذ هناك تجانسا بين مجال المواقع الاجتماعية، ومجال أساليب الحياة المكون من مختلف خصائص واختيارات الفاعلين، فالمجال الاجتماعي يتحدد

بالمواقع التي يشغلها الفاعلون فعليا(أحجيج، 2018، ص 117). والمستقر يعتمد إلى حد كبير على التمثلات التي يصوغها الفرد في موقعه الاجتماعي، والتصور الذي لديه عن مجاله المادي والاجتماعي.

5. التنظيم الاجتماعي المجالي للمستقر بمقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا

يشير هيدغر إلى أن المستقر هو قبل كل شيء طريقة للوجود في بعدها الأخلاقي، ويترجم إلى مجموعة من السلوكيات والمواقف والذكريات، وهو ما يؤكد أن عمارة المجال لا تقتصر فقط على السكن في بعده المادي، وإنما لا بد من أخذ بعين الاعتبار الظواهر غير الملموسة الدالة على أخلاقيات المجال، هذا الأخير يلخص واقعًا معقدًا من العلاقات الاجتماعية والمجالية التي تدار بشكل مشترك من خلال القواعد الاجتماعية(Di Méo، 2014، ص 71)، واستنباط هذا الواقع المعقد وهذه الأخلاقيات يقتضي تفكيك عناصر التنشئة المجالية للفرد، إذ لا يمكن استيعاب تنظيم المجال بدون فك تشفير هياكله (FRÉMONT، 1976، ص 76)، من خلال هذا المحور سنحاول الإشارة إلى بعض هذه العناصر والمظاهر المنتشرة في المجالين المدروسين، وذلك باستثمار تقنية الإشباع la saturation المعهودة في التحريات الإثنوجرافية، خصوصا في مقاطعة مولاي رشيد التي تتميز بوجود ساكنة هشة تعاني من الفقر والهشاشة كما أوضحت ذلك أرقام المندوبية السامية للتخطيط. كما سنحاول إدراج بعض مظاهر المورفلوجية العامة للمقاطعتين، من حيث تكدس الساكنة من خلال التركيز على السكن، ومن حيث علاقة الفرد مع الحي ومع السلطة، ومدى شعوره باندماجه في الحي والمدينة بصفة عامة.

شكلت مقاطعة مولاي رشيد (خصوصا الأحياء الستة) ولازالت نقطة سوداء في عيون ساكنتها خاصة وساكنة الدار البيضاء عموما، إذ تتميز بارتفاع معدلات الجريمة والسرقة والانحراف والشجار وبيع المخدرات والخمر، بالطبع لا يمكن إنكار تفشي هذه المظاهر في جل مقاطعات المدينة، إلا أن مقاطعة مولاي رشيد تتميز بالريادية في هذا المجال، فبالرغم من تراجع هذه المظاهر، فإن تمثلات الساكنة لم تتراجع بل استمرت في نفس النظرة ونفس التصور. فالبعض يفسر ذلك بتفشي البطالة والفقر، وهناك من يرى أن الأصل الجغرافي له دور في هذه التمثلات، في حين ترجعها عينة أخرى إلى الانفلات الأمني، فمخافر الشرطة في أحياء مقاطعة مولاي رشيد الستة قليلة وغير كافية لاستيعاب الكثافة السكانية بالمنطقة:

– *هذه أحياء الفقراء، تنعدم فيها شروط الحياة الضرورية، لا تستطيع التجوال بكل حرية نهار أو ليلا، لا تكاد تخلوا أزقة أحيائنا من المتسكعين ومن شباب يعاني ويلات البطالة، أنظر إلى واجهة منازلنا ستجدها الأسوء على مستوى مقاطعة مولاي رشيد، هناك أزقة معروفة تباع فيها معظم أنواع المخدرات.(نجية ،خياطة 46 سنة، مولاي رشيد 6).*

تمت تزكية هذه الشهادة من خلال الملاحظة بالمشاركة. فخلال الفترة التي قضيناها في هذه الأحياء، كنا نعاين هذه المظاهر والمواقف. تطرقت المبحوثة إلى مسألة عدم القدرة على التنقل بكل حرية، وهي ناتجة بالأساس عن غياب الأمان والأمن والحماية والعيش في بيئة سليمة، وهي عناصر تعتبر من أهم الحقوق المدنية والأساسية التي نص عليها الدستور المغربي لسنة 2011 كما جاء في الفصل 24 "حرية التنقل عبر التراب الوطني" والفصل 31: "تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير

أسباب استفادة المواطنات والمواطنين على قدم المساواة من الحق في... الحماية الاجتماعية... والعيش في بيئة سليمة".

فإذا كانت المواطنة تقتضي التمتع بجميع الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مع الالتزام بمجموعة من الواجبات، فإن ساكنة مقاطعة مولاي رشيد محرومة من معظم هذه الحقوق، وهو ما يفتح المجال أمام تمردات مجالية واجتماعية، يراه الحس العام المشترك أنها ناتجة عن قلة وعي الساكنة، في الوقت التي تعود أسبابها إلى عدم تمتيعها بحقوقها. وهو ما ينذر بأزمة اجتماعية ومجالية، تنبأ لها المصطفى شويكي منذ سنة 1996، حينما أشار إلى أن تفاقم الأزمة الاجتماعية بالدار البيضاء وتشعب مظاهرها وقنواتها يطرح أكثر من تساؤل حول المستقبل: فهل سيستمر استغلال الأزمة في التدجين حتى بالنسبة للأجيال المقبلة؟ وماذا أعدت مراكز السلطة والقرار من حلول لمواجهة تطور الأوضاع الراهنة؟ وهل هناك وعي بخطورة الأوضاع الحالية وتطوراتها المستقبلية (شويكي، 1994، ص 629).

في المقابل، فإن ساكنة مقاطعة أنفا (باستثناء قاطني دور الصفيح في قطاع العنق وسيدي عبد الرحمان) لهم رأي مغاير لما تقصيناه في مقاطعة مولاي رشيد، وذلك من خلال الإحساس بالتمتع بكل الحريات المنصوص عليها، فهذه الساكنة ومن خلال الشهادات التي استقيناها، أكدت على عدم وجود أي مشكل مرتبط بالأمن والأمان، فالكل يتنقل بكل حرية وفي أي وقت، كما أكدت العينة المدروسة على انتشار رجال الأمن في كل مكان ومرور دورية بين الفينة والأخرى، الشيء الذي يؤكد على توفر شروط العيش الكريم:

– *أشكر السلطات التي جعلتنا نحس وكأننا في وطننا، لم نشعر قط بانفلاتات أمنية، أتجول رفقة زوجتي بكل حرية نمارس الرياضة، حتى الحارس قد تخلينا عنه منذ مدة، لا وجود لمتشردين هنا، باستثناء فصل الصيف الذي تكون فيه كثرة الحركة، ويعج فيه المصطافون إلى الشاطئ آنذاك تقل حركيتنا نحن.(دانيال، يهودي مغربي، 58 سنة، عين الذئاب).*

هناك عدة إيحاءات من هذه الشهادة تحيل على نوع المظاهر السائدة في هذه المقاطعة، فقوله أنه قد تخلى عن حارس المنزل، معنى ذلك غياب السرقة ومظاهر الانحراف، ممارسته للرياضة رفقة الزوجة مؤشر على التنقل بكل حرية من جهة، ومؤشر على تمتعه بحقوقه الدستورية من جهة ثانية، إذن لا غرابة من إحساسه بالمواطنة، فالظروف والشروط الضرورية متوفرة، والتمتع بالمواطنة مرتبط بالحقوق أكثر من الانتماء الجغرافي.

من العناصر التي اعتمدنا عليها خلال دراسة التنظيم الاجتماعي المجالي، الهيكل العام للسكن، إذ يتضح من خلال إلقاء نظرة عامة حول المورفلوجية العامة للسكن في أحياء مولاي رشيد مدى تكدس السكن، وعدم وجود أي مساحات مفتوحة، فهو عبارة عن ثلاثة إلى أربعة طوابق، تتخذ شكلا طوليا وتتميز بصغرها وضيقها، كما تتميز بارتفاع الكثافة السكانية، فتضافر كل هذه العوامل، سيفرز لا محالة سلوكيات إجرامية كما أكدت ذلك مدرسة شيكاكو، أي الميل نحو الانحراف والجريمة بسبب الطبيعة الهشة والتنشئة الاجتماعية الملتوية والظروف الصعبة (الزواهرة، 2013، ص 177). دفعنا هذا إلى استحضار نظرية الأنومي اللامعيارية عند دوركايم، الذي أشار إلى أن الفشل في تحقيق الأماني والطموحات يؤدي إلى انهيار القيم الإنسانية في المجتمع، وإحداث تغيرات اجتماعية وانتشار الجريمة .

في الجهة المقابلة الخاصة بأنفا، نجد السكن المتفرق والشاسع والمتمثل في سكن الفيلات في

مجموعة من القطاعات، كأنفا وامتداد الراسين، عين الذئاب، سيدي عبد الرحمان، وإن وجد السكن الجماعي، فإنه يوجد على شكل عمارات تتألف من شقق ذات مساحات مهمة، أما السكن الاقتصادي فيكاد ينعدم في هذه المقاطعة .

كما تتميز مقاطعة أنفا بقلة عدد الأفراد في الغرفة الواحدة، وبانخفاض مستويات الكثافة السكانية، وهكذا ستكون الثقافة المنبثقة من هذه الظروف مغايرة عن ثقافات مناطق الكثافات المرتفعة، من قبيل مستوى اللباس والكلام والتعامل والمكانة الاجتماعية والذوق الفني، والثقافات الفرعية الشبابية، وهو ما سيعزز الهوية المجالية المعتمدة على الانتماءات الثقافية الدالة على مظاهر التحضر.

6. الحياة الحضرية بمقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا.

عرف كاستل Castels الحياة الحضرية بكونها نمط عيش خاص بالمدينة، وطريقة في الحياة والسلوك ونسق من المواقف والقيم والمعايير والسلوكيات ونظم من التفكير وطرق من الممارسات، وتعتمد على أربعة عناصر حضرية وهي: الإنتاج، الاستهلاك، التبادل، التدبير (Castels، 1969، ص423). إن تفكيك هذا المفهوم، يجعلنا نشير إلى وجود نمط حياة اجتماعية خاصة بالمدن، من حيث علاقات الجوار، وطبيعة الأسر، وكذا خروج المرأة للعمل. فما هي بعض خصوصيات الحياة الحضرية بالمجالين المدروسين؟

بالنسبة لمجال مولاي رشيد، وبالضبط الأحياء الستة المكونة من الفئة القادمة من الحي الصفيحي، حاولت هذه الساكنة التكيف مع حياة الحي أو الدرب في كل مستويات الحياة الحضرية، سواء من حيث السلوك وطريقة التعامل مع الغير، أو من حيث التنظيم واستغلال المجال العام لمدينة الدار البيضاء واستغلال وسائل النقل العمومية، بعدما كانوا يعيشون العزلة في الحي الصفيحي الذي كان مجرد خروجهم منه يسبب لهم الخجل والحياء، إذ ترسخت في أذهانهم فكرة أنهم مجرد سكان من دور الصفيح "الكاريان"، وهو ما كان يلحق بهم نوعا من العار، ويجعلهم يفضلون التقليل من حركيتهم تجاه مركز المدينة، أما اليوم، فقد تغير كل شيء، حيث تم تبني نفس نمط الحياة الاجتماعية لباقي سكان المدينة:

– *كنا نخجل من قول أننا أبناء كاريان بن امسيك أو كاريان سيدي عثمان، هناك مفارقة غريبة بيننا وبين قاطني كاريان سنترال، هؤلاء كانوا يفتخرون بكونهم أبناء ذلك الحي، أما نحن فلا، كنا نتردد قليلا على مركز المدينة، كلما توجهنا نحو العمل، كنا نخفي هويتنا، أما اليوم، فالشباب يفتخر أنه ابن مقاطعة مولاي رشيد، فهم يضنون أن ذلك يجلب لهم هيبة ورجولة مقارنة مع باقي سكان المدينة، من خلال انتشار الجريمة وما شابه ذلك. (لحسين، نجار، 52 سنة، حي مولاي رشيد 4).*

لم يستوعب سكان مولاي رشيد صعوبة الحياة الحضرية إلا بعد أن كبر الأبناء، وازدياد حاجياتهم اليومية والاستهلاكية وتطلعهم إلى نمط العيش الحضري، من خلال الرغبة في الولوج إلى المدارس الخاصة، والرغبة في تبني نمط استهلاك باقي الفئات الاجتماعية، وخصوصا ما يتعلق منها بمظهرهم الخارجي، من قبيل اللباس، طريقة الكلام، وتناول الأطعمة في مطاعم مركز المدينة، كل ذلك من أجل التعبير عن عدم الحرمان، وأن لا فرق بينهم وبين باقي الفئات الشعبية، وقد لعبت المجالية دورا مهما في فهم هذه الأنماط الاجتماعية.

بالنسبة لمقاطعة أنفا، فيمكن تشبيه الحياة الحضرية بها بما أشار إليه Rober Escalier

خلال حديثه عن الوسط الحضري، إذ يقول " *في الوسط الحضري، يتميز النشاط الاقتصادي بتنوع كبير في المهن، وقد حدد بعض أنواع هذه المهن(المهن العلمية والتقنية، مهن التجارة، المهن الإدارية)، فالحديث عن الوسط الحضري، يتطلب الانتقال إلى الشق الاجتماعي والثقافي المرتبط بتحسين وضعية المهن، وانعكاسها على مستوى الدخل والاستقرار المهني والأمن والأمان والتخلص من الفقر* (ESCALLIER، 1978، ص 36). معظم المؤشرات التي تحدث عنها اسكالي Rober Escalier متمركزة في المقاطعة (أنفا)، من خلال تدني مستويات الفقر وانتشار الأمن والأمان وارتفاع مستويات الدخل الفردي وانتشار المهن التقنية والإدارية، كل ذلك يجعلنا نخلص إلى أن الحياة الحضرية بمقاطعة أنفا لا تخلوا من معايير حياة التمدنية، مع وجود استثناءات بين الأحياء، خصوصا في أحياء سكن العمارات وأحياء السكن المغربي والسكن العشوائي والصفيحي.

في ما يخص طبيعة الأسر السائدة، نشير هنا إلى أن ساكنة أحياء مولاي رشيد وخصوصا القادمين من السكن الصفيحي بابن امسيك سيدي عثمان، لم تحتفظ ببعض خصوصيات العيش في السكن الصفيحي المتمثلة في قيم التضامن والتعاون والعمل الجماعي، وفتح الأبواب في وجه الجار وتبادل التهاني في المناسبات والأعياد، بل تأثرت هي الأخرى بالتغيرات التي طالت المجتمعات الحضرية المعاصرة، فأغلقت هي الأخرى الباب في وجه الآخر، وتبنت النمط النووي المكون من الأب والزوجة والأبناء. وقد تقل حدة هذه الظاهرة في الأحياء الستة لمولاي رشيد، أي الأحياء التي تتميز بساكنة ذات أصل السكن الصفيحي أو السكن القروي، بينما تزداد حدة في باقي أحياء مقاطعة مولاي رشيد، خصوصا المتضمن للسكن الاقتصادي كحي الهدى نموذجا.

هذا وتتقاطع هذه الطبيعة الأسرية مع ما هو موجود في مقاطعة أنفا، والتي تزداد فيها الظاهرة بشكل مبالغ فيه، إذ أن الفرد في هذه المقاطعة يعيش ويتمتع بفردانيته، وهو ما جعل منظومة قيمه الثقافية والاجتماعية تتخذ مسار التجزؤ والانقسام، الشيء الذي سيؤثر على مشاركته الاجتماعية والحضرية، وعلى تشويه بنيته الاجتماعية. وقد كان للتطور التكنولوجي دورا هاما في هذا الباب، فالتقدم الذي عرفته وسائل الاتصال السمعية والبصرية، جعل الفرد يكون اجتماعيا في العالم الافتراضي، وانفراديا ومنعزلا في عالمه الواقعي، وهو هروب من الواقع المعاش، نحو واقع افتراضي، والإعلان عن دخول الفرد في الفردانية، بل أكثر من ذلك، فإننا لا نتحدث فقط عن الفرد الانفرادي في مقاطعة أنفا، بل نتحدث عن المجتمع الفرداني، وذلك بحكم طبيعة المجتمع السائد وطبيعة الرساميل الممتلكة والمتحكم فيها. فالفردانية عقيدة تجعل الشخص - الفرد - نقطة مرجعية لا يمكن تجاوزها. وهي تعارض "الجماعية، وبالمعنى الاجتماعي، نقول أن المجتمع فرداني عندما يتمتع بانفرادية ممنوحة حسب الأعراف والقيود الاجتماعية (BIRNBAUM، 1991، ص 51).

وقد يأخذ المجال المعاش أبعاد اجتماعية كما تم تشكيلها، من بين هذه الأبعاد، نجد علاقات الجوار التي تعد من العلاقات الاجتماعية والتي تتجلى من خلال توزيعات مكانية معينة؛ إذ أن طبيعة هذه العلاقات، ستختلف من مجال لآخر، فارتباطا بطبيعة الأسر السائدة، سجلنا أيضا التغيير الحاصل على مستوى علاقات الجوار في المقاطعتين، والتي تنصلت من كل القيم التقليدية التي كانت سائدة قبل الانفجار الديمغرافي والتكنولوجي والمجالي؛ إذ لم نعد نتحدث عن تلك العلاقات الراسخة بين الأفراد، حيث اندثرت بذلك قيم التعاون والتضامن

والأنساق التقليدية، وحلت محلها القيم النفعية والمصلحية:

– *كل أسرة هنا منغلقة على نفسها، فإذا مر جار وألقى التحية عليك ؛ فأنت من المحظوظين، أما إذا سمعته يطرق بابك فاعلم أن مصيبة قد حلت أو أن هناك مصلحة أو حاجة يرجو أن تقضيها له، فقلما نتبادل التهاني في المناسبات، بل وأحيانا تجد سكان إحدى العمارات منشغلين بمراسيم العزاء، بينما في نفس الوقت يقيم بعض سكان العمارة المجاورة حفلات أو أعراس، الشيء الذي يجعلك تكره التواجد بالمدينة. (حسن، 32 سنة، حي الهدى، مولاي رشيد).*

وهو ما أكده ويرث قائلا" ينعدم مصطلح الجوار في المدينة، وهو يحمل دلالة واحدة وهي التقارب المادي، كون طبيعة العلاقات الحضرية أصبحت تكتسي صبغة المنفعة والسطحية في الأحياء المأهولة، وهي راجعة بالأساس إلى خصوصية الحياة الحضرية التي فرضت نوعا من العلاقات (Joseph، 1979، ص 36) .فلم يعد للجوار الاجتماعي أي مدلول مقابل انتشار الجوار المجالي المادي، ولم يعد الإنسان ذلك الإنسان القيمي المتشبع بالمبادئ الداعية إلى حسن الجوار.

ومن العناصر المعتمدة في دراسة الحياة الحضرية بالمقاطعتين، سجلنا مسألة خروج المرأة للعمل، وهي ظاهرة تتباين من حيث الكم ونوعية الإنتاج والعمل بين المجالين المدروسين، وتتأثر بمجموعة من العوامل التاريخية والاقتصادية، فقد شهدت فترة أواخر السبعينيات توسع علاقات الإنتاج الرأسمالي في المغرب، وقد كانت عملية غير متكافئة ومتفاوتة جغرافيًا، كما سجلت أيضا اختلافات اقتصادية بين المناطق المنتجة، إذ تخصصت بعض المناطق في الصناعات المنجمية كالمناطق الشرقية وأخرى هيمنت عليها الصناعات النسيجية كمدينة الدار البيضاء. انتشار هذه الصناعات بالمدينة، دفع ببعض الفئات وتحت تأثير ضغوطات الحياة إلى خروج المرأة للعمل، إذ ظهر عمل النساء خارج المنزل، وهو أحد أكثر السمات المميزة للمجتمعات الحديثة لأول مرة في الطبقات الدنيا تحت تأثير الضرورة(Rajeb S. Yahyaoui, M، 2019، ص 303)، وهي وضعية مقاطعة مولاي رشيد، التي خرجت معظم نسائها إلى العمل في معامل النسيج لسد بعض حاجيات الحياة اليومية، وفي هذا الصدد قمنا بمقابلات إثنوجغرافية مع حوالي 24 امرأة حول عملهن وظروف خروجهن للعمل، فكانت الأسباب متباينة بين من خرجت للإحساس باستقلالية مالية، وهناك من اضطرت للعمل بعد دخول الزوج السجن، وهناك من قررت مساعدة الزوج في تكاليف الحياة.

تباينت نوعية عمل نساء مقاطعة مولاي رشيد بين العمل كخادمات في البيوت، أو العمل في معامل النسيج في مقاطعة عين السبع والبرنوصي، والظاهر من خلال هذا الاستقصاء الميداني هو ضعف المشتغلات في الإدارات أو الوظيفة، ومن أسباب ذلك ضعف المستوى التعليمي لديهن (حوالي 6,6% نسبة التعليم العالي في صفوف نساء مقاطعة مولاي رشيد). جل النساء يعملن في وظائف تتطلب مجهودا عضليا، ما عدا قلة منهن خصوصا في حي بورنازيل وإقامات الهدى. وهكذا اتخذت نساء مولاي رشيد لأنفسهن موقعا ضمن التشكيل الأسري الحضري بالمدينة.

في مقابل ذلك، اهتمت نساء مقاطعة أنفا بالوظيفة والمناصب العليا في الشركات، وهنا نتحدث بالضرورة عن بعض الأحياء كمنطقة عين الذئاب وأنفا وسيدي عبد الرحمان، فقد ساهم ارتفاع مستواهن التعليمي في هذا الاتجاه، أكثر من 20% لهن مستوى جامعي، و17,5% لهن مستوى ثانوي و14% لهن مستوى

إعدادي، أي أن أكثر من نصف نساء مقاطعة أنفا يتجاوز مستواهن التعليمي المستوى الإعدادي، وهو ما أثر في اختياراتهن، وتنوع بذلك مجال اشتغالهن بين من يعملن في مناصب عليا سواء في القطاع العام أو الخاص.

7.خاتمة .

يشكل الحديث عن المستقر جزءً من الحديث عن المدينة بكل مكوناتها وخصائصها، حاولنا على امتداد صفحات هذا المحور الاستمرار في رصد مواقف الفرد وتمثلاته للمستقر، ولنمط الحياة الحضرية والاجتماعية، من خلال الوقوف على بعض عناصر الاشتغال المستلهمة من الأدبيات الجغرافية المهتمة بالفرد في مجاليته وإنسيته، وقد تم تسليط الضوء على بعض الخطوط الرئيسية المعقدة والمشكلة للعلاقة مع المجال من حيث الانسجام والتكيف.

ألقت المسوحات الميدانية بشكل خاص الضوء على تنوع عمليات عمارة المجال، وما يرتبط بها من خصوصيات ثقافية ومحلية، ليس من المستغرب أن كل فرد له مجال معاش وطرق عيش خاصة به، ومع ذلك، سمح لنا تحليل مختلف الممارسات اليومية والتمثلات الفردية باستخلاص بعض النتائج، أقل ما يمكن القول عنها أنها لازالت في حاجة إلى تأكيد نظري ومنهجي من قبل دراسة مجالات أخرى.

تشكل التجارب الفردية أحد روافد فهم الإشكالية المجالية la spatialité، فالتركيز على الجانب النفسي في تمثلات الفرد لعمارة مجاله الخاص من شأنها إعطاء معالم المجتمع وفهمه، ولن يقتصر هذا على مستوى الفهم فقط، بل يتعداه إلى مستوى الأجرأة عبر الأخذ بعين الاعتبار ذهنيات السكان في إعداد وتهيئة المجال، فإلى متى ستبقى هذه العمليات حبيسة مكاتب الدراسات المغيبة للأبعاد الإنسية وللقيم الذاتية والنفسية؟

8. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. أحجيج، حسن. فزة، جمال. (2019)، البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية، نظريات وتطبيقات، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، الرباط.
2. أحجيج، حسن (2018) نظرية العالم الاجتماعي :قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى، الرباط.
3. الزواهرة، عمر عبد الله المبارك، (2013)، المتغيرات الاقتصادية وأثرها على السلوك الجرمي والانحراف، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن.
4. بلفقيه، محمد، (2002)، الجغرافيا القول عنها والقول فيها :المقومات الإبستيمولوجية، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى، الرباط.
5. BOURDIEU, Pierre , (1968), Le métier de sociologue, Préalables épistémologiques, Paris.
6. BOURDIEU, Pierre, (1980), LE SENS PRATIQUE, Les éditions de minuit, coll. Le sens commun , Paris.
7. BENOIT, Feildel. Hélène, Bailleul. (2012), La structure de l'habiter: éléments de connaissances et perspectives pour les sciences du projet, Polytech Tours - Département Aménagement, Université F. Rabelais – Tours.
8. BIRNBAUM, Pierre, et LECA, Jean, (1991) , Sur l'individualisme Théories et méthodes, Les Presses de la Fondation nationale des sciences politiques, Nouvelle édition, (2e édition), Paris.

9. DODIER, Rodolphe, (2009), Individus et groupes sociaux dans l'espace, apports à partir de l'exemple des espaces périurbains, Sciences de l'Homme et Société. Université du Maine.

10. DENIS, Martouzet. Serge, Thibault. Benoît, Feildel. Hélène, Bailleul. (2009), La construction de l'habiter à l'échelle de la vie diversité des figures identitaires de l'habitat et culture de l'habiter, Bayonne, France.

11. DI MEO, Guy, (2014), Introduction à la géographie sociale, Armand colin, Paris.

12. FRÉMONT, Armand, (1976) , la région espace vécu, Editions Flammarion. Ed 1999. Paris.

13. HUGUES, Baudry, (2007), APPROCHE DES CONDITIONS FONDAMENTALES DE L'HABITABILITE DES ESPACES.POUR UNE CONTRIBUTION A LA GEOGRAPHIE COMMESCIENCE DE L'HABITER. Géographie. Université François Rabelais - Tours. France.

الأطروحات:

14. شويكي، المصطفى، (1994)، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، الرباط.

15. بزبز، عبد الكريم، (2007)، علم اجتماع بيير بورديو، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر.

16. ESCALLIER, Rober, (1978), la population urbain au Maroc, étude géographique, thèse de doctorat , présenté devant l'université de nice, Nice.

17. YAHYAOUI, Mostafa, (2012), L'Etat face à l'inclusion socio-spatiale des habitants des bidonvilles: Essai sur les représentations sociales Thèse de Doctorat, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Mohammedia, Université Hassan II Casablanca, Maroc.

المقالات:

18. ANDRE, Adam, (1970), Les classes sociales urbaines au Maroc, In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°8, unica. P.P :22-43 ;

19. BOURDIEU, Pierre, (1984), Espace social et genèse des "classes". In: Actes de la recherche en sciences sociales. Vol. 52-53, juin. Le travail politique, p.p:32-54.

20. CASTELLS, Manuel, (1969), Vers une théorie sociologique de la planification urbaine. In: Sociologie du travail, 11e année n°4, Octobre-décembre. Politique urbaine.pp 56-87.

21. ISABELLE BERRY,CHIKHAOU, (2009), Les notions de citadinité et d'urbanité dans l'analyse des villes du Monde arabe, Essai de clarification équipe Monde arabe Méditerranée (EMAM) – CITERES, Montpellier.

22. RAJEB S, YAYHAOUI, M, (2019), Mobilité du genre et géographie au Maroc, apparu dans Espace Territoire et Société au Maroc: Mutations, dynamiques et enjeux, Coordination Mohammed Zhar, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia. Maroc.

23. THEBAULT, Serge, (2008), Espaces habités, espaces anticipés, Agence Nationale de la Recherche (ANR), Mars.
24. YAHYAOUI, Mostafa et al,(2020), Habiter dans/à la périphérie de la ville, apparu dans: la marge entre discours géographiques et réalité de construction et reproduction des inégalités sociales, coordination Mohammed Aderghal et Ahmed Ait moussa , ANAGEM, Editions universitaires, FLSH- Mohammedia p 121
25. YAHYAOUI, Mostafa, (2016-2017), De la justification social et politique des faits géographiques, rapport de synthèse des travaux de recherche pour l'obtention de l'habilitation universitaire, département de géographie, Mohammedia, Maroc.